في التخطيط الاخلاقي

للدكتور ـ احمد الخشاب

مقـــدمة عامـة

من ابرز سمات عصرنا الحاضر أنه « عصر تخطيط » ، بمعنى أن « التخطيط » فلسفة وطريقة وسياسة ومنهجا ـ أصبح المقولة المشتركة للنشاطات الانتاجيـــة والاستهلاكية والتوزيعية وبرامج الخدمات الاجتماعية ، كما غدا الوسيلة الفـذة لتحقيق التقدم والتطوير للمجتمعات النامية في الآونة الحاضرة .

ونحن نعتبر التخطيط تطبيقا عمليا للفلسفة الاجتماعية التكاملية[1]، فهو ليس عملية انفرادية وانما هو مجموعة من الاجراءات المتكاملة التي يجب أن تتـم على نحو من العمومية والشمول ، بحيث تستغرق كافة الجوانب المادية والمعنوية للحياة الاجتماعية ، ذلك لان التوازن الاجتماعي والتطوّر السوّي لا يتأتى الا عن طريق تحقيق التوافق والتنسيق بين فعاليات الهيئات والمنظمات والمؤسسات الوظيفية النوعية ، وتضافر جهود الافراد العاملين في مختلف النشاطات وتكتيـل انجازاتهم وفق « خطة » مرسومة أو سياسة مدروسة دراسة علمية ، على هدّى الاحتياجات المعنوية الروحية والاحتياجات المـادية الاجتماعيـة ، وذلك لبلوغ الأهداف المرجوة والتطلعات المرتقبة أو لمواجهة المشكلات المجتمعيـة المتحـددة بوسائل مادية او توجيهات معنوية أو مبادىء أخلاقية أو مثل روحية ...

ومن نافلة القول ان نقـــرر ان التخطيط أصبح ضرورة لازمـــة بالنسبة للمجتمعات المتقدمة ، وخاصة اذا نحن وضعنا في الاعتبار الامور التالية :

أ ـ أن التقدم العلمي الذي أحرزته تلك المجتمعات يرتكز أساسا على مبدأ تعمّق التخصص وازدياد تفريع التخصصات والوظائف الاجتماعية ، الى حـدٍ

---

(١) الدكتور احمد الخشاب : العلاقات الاجتماعية . القاهرة ، ١٩٥٧ . « في التكامل والتكافل الاجتماعي » ص ٣٠٢ ـ ٣١٢ .

يتطلب متابعة تنظيم وتنسيق هذه التفريعات ، عن طريق تخطيط يعبىء نشاطات الهيئات والمنظمات المتخصصة في الوظائف المتنوعة .

ب ـ ان التخصص والتفريع المتزايد لتقسيم العمل الاجتماعي ، قد أدى الى تشابك وتعقد العلاقات الاجتماعية وتداخلها بصورة تستلزم الاخذ بالوسائل التخطيطية العلمية لتنظيم فعالياتها تنظيما يبعدها عن التضارب الذي قد يؤدي الى عدم الاستقرار والتوازن الاجتماعي .

ج ـ ان المجتمعات المتقدمة(٢) ـ وقد اتخذت الاسلوب العلمي أساسا لقوالب الفكر والعمل ـ لم تعد تأخذ في سياستها الاصلاحية والاعمارية والتطويرية بأسلوب العشوائية ، كما لم تجعل مجالا ايجابيا للنزعات الاتكالية والمناحي الارتجالية ، ومن هنا كان القدح المعلّى للاساليب التخطيطية .

د ـ ان قدرة الانسان في المجتمعات الراقية ، وثقته بنفسه واقتناعه بأنه قادر على التحكم في مقدراته ، واستطاعته مغالبة تحديات الحياة ، وايمانه في امكانية أخضاع واستغلال موارد البيئة الطبيعية لصالحه وصالح مجتمعه بل وتسخيرها لخدمة الانسانية ، هذا وما اليه قد زاد من تمسكه بالاجراءات التخطيطية التي تنطوي أساسا على القدرة على التحكم في المقدرات وتحديد الغايات والاهداف ، بطريقة متناسقة وفي فترة زمنية محددة تتوقف على توافر الامكانيات المادية والخبرات الفنية والقوى المعنوية .

واذا تابعنا الضروريات الملحة للأخذ بالاساليب التخطيطية ، وولينا وجهنا شطر مجتمعنا العربي ، ألفينا في وضوح وجلاء أن « التخطيط » بوجه عام يعتبر من ألزم الوسائل بالنسبة لمجتمعنا ، وخاصة اذا نحن نظرنا بعين الاعتبار الى الامور التالية فضلا على الاعتبارات السالفة .

١ ـ أن المجتمع العربي ـ وان كان يملك زادا حضاريا نتيجة تراثه الروحي والحضاري القديم ، فانه قد حيل بينه وبين السير قدما في طريق التقدم والازدهار

(2) Josoph Himes, Social Planning in America.

فترة طويلة من الزمن ، نتيجة العوامل السياسية والاقتصادية التي مرت بها الامة العربيـــة .

٢ ـ ان الوجدان العربي المعاصر يشعر بأنه تخلف مدة مديدة عن ركب التقدم الحضاري ، وانه لابد وان يعوض هذا التخلف وعما فاته بطريقة هادفـة تطلعية ، ويستلزم هذا بالضرورة وضع تخطيط يحدد أبعاد وطريقةالعمل ومجالاته لبلوغ الهدف التطويري التقدمي ، وفق ما يتهيأ له من امكانيـات مادية وخبرات فنية ، وعلى قدر ما تعبئه من طاقات روحية وقوى معنوية في خدمة هذه القضية .

٣ ـ أن زيادة الوعي في الوطن العربي بحق الافراد على الدولة في الحصول على خدمات اجتماعية ، واحساس الدولة من ناحية أخرى بضرورة العمـل على زيادة الانتاج ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمواطن العربي ، قد أشـعر المسئولين بحتمية الاخذ بالسياسات التخطيطية .

٤ ـ ان رغبة القطاعات النامية من المجتمع العربي في مسايرة منهجيةالمنظمات والهيئات الدولية التي في استطاعتها تقديم المشورة والمساعدة لرفع مستوى الكفاية الفنية للقوة البشرية في الوطن العربي ، يتطلب الوعيالتخطيطي تمشيا مع الاسلوب العلمى الضروري لتحقيق هذا الهدف .

وغني عن البيان أن الاعتبارات المتقدمة قـــد أوجزناها في ضوء المفهـــوم الاقتصادي والاجتماعي العام الذي درج العلماء على نسبته الى التخطيط باعتبـــار أنه وسيلة عملية هادفة لتكتيل القوى وتجميع الجهـــود وتنسيق النشاطات التي تمارسها الهيئات والمؤسسات والمنظمات والافراد في اطار واحد متكامـل المواقف والاهداف ، بحيث يمكن استغلال الامكانيات المادية والبشرية لتنفيذ سياسةمدروسة تقابل حاجات المجتمع وتحقق أهدافه في سبيل بلوغه الى حياة اجتماعية أفضل[٣] .

ومن الواضح أن جل جهود المفكرين والعاملين في ميـــادين التخطيط قد أولوا الجوانب المادية مزيد اهتمامهم ، وأغفلوا أو كادوا يغفلون الجوانب والعناصـر المعنوية والاخلاقية التي تنطوي عليها فلسفة التخطيط والعمليات التخطيطية .

---

(٣) الدكتور احمد الخشاب : السكان والتخطيط الاجتماعي . القاهـرة ١٩٥٤ (راجع تعريف التخطيط) .

ولذلك قد آثرنا في هذا المقال أن نوجه الانظار الى ضرورة معالجة البعد المعنوي من أبعاد التخطيط ، والذي يعتبر في نظرنا من أهم مقومات التكامل والتكافل الاجتماعي وأطلقنا على هذا البعد أسم « التخطيط الاخلاقي » ، ليقف جنبا الى جنب مع التخطيط الاقتصادي والتخطيط الاجتماعي. وفي تقديرنا أن هذا التخطيط المعنوى الاخلاقي يعتبر ركنا أصيلا وركيزة لازمة ودعامة أساسية لتطوير مجتمعنا العربي ، ولاسيما اذا نحن استرجعنا الى الاذهان أن مجتمعنا قد مر بفترة جمود نسبي من ناحية القيم الاجتماعية نتيجة تسلط الاستعمار الثقافي ، وتحكم الفكر الاقطاعي ، وسيطرة المنطق الرجعي . كما أنه تبين أهمية هذا البعد التخطيطى لمجتمعنا العربى في ضوء متطلبات تطوير « الوجه المعنوي » من بنائنا الاجتماعي ، والتي يمكن اجمالها في الهدفيات التالية :

أ – ابراز فعالية القيم الروحية في احداث التقدم الاجتماعي .

ب – التأكيد على ما تنطوي عليه الاجراءات التخطيطية من أهداف ووسائل معنوية وعناصر أخلاقية .

ج – غرس منميات النظرة التحليلية ، واستنهاض الدوافع للنشاطات الانشائية(٤).

د – اشاعة التدابير الوقائية ضد عوامل تفكك الوحدة الوطنية عن طريق التصدي الايجابي للاتجاهات المستوردة والاوهام الباطلة التي تخدم الشعارات المزيفة

هـ – مناهضة النزعات اللاانتمائية والسلبية من جانب الجماهير الشعبية .

و – اشاعة الاخلاقيات البناءة على المستوى السياسى وفي الحقل الاجتماعي وفي المجال التربوي (التعاونية . المشاركة الديمقراطية . القيادة الجماعية . العدالة الاجتماعية . الاخلاقيات المهنية) .

---

(٤) نعني بذلك القوة الموجهة لحيوية المجتمع والمنشطة لفعالياته المادية والروحية .

The Force of Social Reconstruction

ويرجع الى ذلك فى كتاب كارل مانهايم .

(4) K. Mannheim, Man and Society in the age of Reconstruction, N.Y. 1949.

ى ـ العناية بتحقيق التقارب في المواقف والاحكام التقويمية والمقاييس المعيارية والاخلاقيات الاجتماعية فضلا عن التوافق والتناسق بين المستويات الفكرية المتناظرة بين شرائح الامة العربية •

وعند هذا القدر يجدر بنا ان نتذكر ونحدد

ماذا نعنى بالتخطيط الاخلاقى ؟

قبل ان نحدد مفهوم التخطيط الاخلاقي ، يحسن بنا ان نستشف العناصر الاخلاقية الكامنة في الفلسفة والاساليب التخطيطية • وهنا نجد أنفسنا وجها لوجه أمام عدة قضايا هامة لعل في مقدمتها « التخطيط وقضية الحرية » ومن أهمها « التخطيط وارادة التغير » ولا يقل عن هاتين القضيتين أهمية قضية « التخطيط والفلسفة الاجتماعية » •

ولا نحسب أن المجال يسمح لنا بدراسة أو مناقشة مستفيضة حول هذه القضايا الهامة ويكفي ان نلخص وجهة نظرنا فيما يتعلق بالقضية الاولى : اذ اننا نعتقد ان التعارض المزعوم بين الفلسفة التخطيطية والحرية مشكلة جدلية ظاهرية من وجهة النظر الاجتماعية لانها ترتكز أساسا على الحرية في مظهرها التجريدي دون واقعها ، وما من شك في ان أبعاد الحرية ومجالاتها ونطاقها يختلف من مجتمع الى مجتمع آخر ، ومع ذلك فليس هناك ثمت تعارض من حيث الفاعلية الوظيفية بين المساهمة المباشرة وغير المباشرة في وضع وتنفيذ الخطة اذ ان المشكلة لا تعدو في هذه الحالة أن تكون مشكلة تنظيمية ، مع أفتراض ان الخطة نابعة من الدراسة العلمية الموضوعية ومحققة لمتطلبات واحتياجات البيئة الاجتماعية وهادفة لخدمة مصالح أو حل مشكلات أكبر عدد من أفراد الشرائح والمستويات المجتمعة وقد تصدى بالفعل للدفاع عن هذه القضية كثير من علماء التخطيط وفي مقدمتهم العلامة الامريكي ويرث في مؤلفه « التخطيط هو الحرية »(٥) •

ويبدو لنا ان المسألة الرئيسية هي قيمة الوعي التخطيطي على المستوى الجماعى والوجدان الاخلاقى التخطيطى على المستوى الفردي ، فاذا كانت التنشئة الاجتماعية

(5) Lowis Wirth, Planning means Freedom. (Ch. 1949).

(Socialization) تنطلق من فرضية ان العملية التخطيطية ضرورة لازمة لتطوير الحياة الاجتماعية والشخصية ، فان الفرد لايكاد يشعر بأن الاخذ بالمبدأ التخطيطي ينتقص من ذاتيته أو يحدد حريته ، بل أنه يحس من تجاربه الشخصية ان العملية التخطيطية ضرورة تنظيمية لحياته الخاصة .

أما فيما يتعلق بالقضية الثانية المتصلة بعلاقة التخطيط بارادة التغير[٦] ، ففي تصورنا أن هذه القضية تمثل الجانب الايجابي في الموقف الفكري ازاء العنصر التخطيطي الاخلاقي ، ذلك لان عملية التخطيط لابد وان تنطوي على عنصر ارادي ذي فعاليات ايجابية ، بهدف احداث تغير او تطوير بصفة متكاملة ، وهذا التغير الاجتماعي ينطوى على المقدرة البناءة للطبيعة البشرية ، وهذه المقدرة من طبيعة أخلاقية من وجهة النظر الاجتماعية الوظيفية طالما أن هدفيتها هو تحقيق تطلعات الجماعات فيسبيل تحقيق حياة « افضل » امتثالا لما ركب في الانسان من محاولة لبلوغ « كمال ذاته » عن طريق تسخير العلم في الاستغلال « الامثل » لموارد البيئة الطبيعية لصالح الجماعات الانسانية .

وأخيرا ، فان الفلسفة الاجتماعية التي تباشر تطبيقها العمليات التخطيطية هي التي تبلور وتجسد مدى الاخذ بالمبدأ الاخلاقى في العمل التخطيطي ، فمن الواضح أن ايديولوجية الدولة تحدد أبعاد سياستها التخطيطية ومدى تطبيقاتها العملية لفكرة الديمقراطية الاجتماعية ، غير اننا نحب أن نقرر – دون الخوض في الفروق الجوهرية بين التخطيط الرأسمالى والتخطيط الاشتراكي – ان الفلسفة التخطيطية[٧] ترتكز على اخلاقيات هدفية اجتماعية أساسية ، نكتفي بان نشير الى أهمها فيما يلى :

---

(6) Georges Gurvitch, Determinismes Sociaux et Liberté Humaine Paris, P.U.F., 1955 p. 82.

(٧) تختلف السياسة التخطيطية تبعا لايديولوجية الدولة ، فقد تقوم لتأكيد السيطرة التى تمارسها فعلا طبقة واحدة أو اكثر من طبقات المجتمع ، وقد تهدف السياسة التخطيطية الى تهيئة أسباب تكافوء الفرص بين المستويات الاجتماعية ، ونحن نعنى هنا بالسياسة التخطيطية التى تكون اجتماعية في =

١ ـ النظرة الاخلاقية الوظيفية للنظم الاجتماعية ، بمعنى أن جميع المنظمات الاجتماعية يجب أن توجه فعالياتها الى ما يؤدي الى تحسين المستوى الاخلاقي والفكري والمادي للطبقة الاكثر عددا والاشد حرمانا •

٢ ـ ان يهدف التخطيط صالح المجموع ، بما ينطوي عليه هذا المبدأ من لزوم « التضحية » ببعض الحاجات الثانوية والكمالية من أجل الحاجات الاساسية ـ تأكيدا للنزعة الغيرية ، وضمانا لعدم تأجج المشاعر الطبقة بفعل المتناقضات المعيشية التي قد تتواجد بين المستويات الاجتماعية •

٣ ـ العمل على تحييد القوى الاجتماعية المتصادمة ، وتحويل التصادم الى تساند وتماسك وتعاون ، وتحويل استغلال الانسان لجهود أخيه الانسان ، الى استغلال الانسان لموارد وقوى الطبيعة من أجل المصالح المشتركة لكافة مستويات البنية الاجتماعية •

٤ ـ تنمية الكفاية الانتاجية على أسس أخلاقية ، قوامها تجويد الانتاج وتحسينه نتيجة المران والتدريب المهني وغرس الاخلاقيات المهنية التي تكفل حل المتناقضات بين صاحب العمل وصاحب اليد العاملة •

٥ ـ تعميق الاحساس بأهمية القوى الاخلاقية والاجتماعية في انجاح التطوير عن طريق العمليات التخطيطية والاستفادة من المورثات الروحية في دفع عجلة التقدم الاجتماعي ، وفي تعبئة القوى البشرية وخاصة عناصرها الفنية للمساهمة في تنفيذ متطلبات السياسة التخطيطية وتأييدها •

وفي ضوء ما تقدم يمكننا ان نحدد مفهومنا للتخطيط الاخلاقي •

فنحن نقصد بالتخطيط الاخلاقي ، ذلك البعد الجديد من التخطيط الذي يتناول في اهتماماته الهدفيات الاخلاقية الكامنة وراء العمليات والسياسات التخطيطية ، هذا من ناحية المفهوم الستاتيكي الوقائي ، اما من حيث مفهومه الديناميكي فنحن

= مراميها ، ونستبعد السياسات التخطيطية التى تخدم المصالح الذاتية لطبقة واحدة معينة •

راجع مؤلف أودم المعنون « كيف تفهم المجتمع » •

H. Odum, Balance and Equalibrium among the Conflicting Forces within Society. Understanding Society N.Y. 1947.

اليه على أنه عملية تعديل وتجديد وتطوير في الاخلاقيات القائمة في المجتمع ، أو بمعنى أصح هو عملية أعادة بنـــاء هيكل ترتيب وتنسيق القيم والمعايير المألوفـة للجماعة بطريقة مخططة منظمة ، تكفل فاعلياتها وتتضمن دفع نشاطاتها وطاقاتهـا المعنوية والروحية وتطوير فلسفتها الاجتماعية والتربوية تطويرا يرتفع بهـــا الى مستوى متطلبات التطور الاقتصادي او التقدم المادي أو التكنولوجي او التحـــول الاجتماعي ، ليتحقق التوازن بين الوجه المادي والوجه المعنوي من البناء الاجتماعي.

وآية ذلك ان التخطيط الاخلاقي يهدف الى منع التخلف وانهوة الحضارية بين مكونات البنية الاجتماعية ، وهو يعني بصفـــة خاصة بالجوانب التنظيميـــة والتطويرية للقواعد الاخلاقية والقيم الاجتماعية والفلسفة التربوية والروح المعنوية فضلا عن المواقف والاتجاهات النفسية الجماعية والطرق والوسائل الشعبية والآداب والاعراف الجماهيرية والاحكام التقويمية المتعلقة بالنماذج والانماط السلوكية(٨).

وغير خاف أن تطوير برامج التربية الشعبية واصلاح التكوين الفكري وفق تخطيط علمي أمر ضروري لضمان فعالية المخططات الهادفة للانماء الاقتصـــادي والاجتماعي ، ذلك أن تحقيق الجانب المادي للنظـــام الاجتماعي – على أساس تخطيطي – لن يجد السبيل الى وجدان الشعب الا اذا نفذت القيم الاجتماعيـــة والاخلاقية والروحية المرتبطة بهذا النظام الى نشاطات أفراد ذلك الشعب وكيّفت مواقفهم واتجاهاتهم واستجاباتهم ، ومن الطبيعي أن ذلك لن يتحقق تلقائيـــا أو ارتجاليا ، وانما يتأتى ذلك عن طريق التوجيه والتخطيط الارادي على أساس علمي لتحويل وتطوير القيم بما يواجه ويتساوق مع تطور الهيكل المادى للبناء الاجتماعي. ولابد أن يشمل التخطيط الاخلاقي عملية غرس الافكار والمعتقدات والاتجاهات العملية المتصلة بالآداب السلوكية والاعراف الاجتماعية ، كما أنه لابد وان تتساوق مع هذه العملية عملية هندسة « التعوّد » التي عن طريقها تثبت وتستقر القيـــم

---

(٨) مفهوم « الاخلاق » – فى علم الاجتماع – ينطوى على مجالات اوسع نطاقا من مفهوم الاخلاق بالمعنى الفلسفى ، فهو يشمل قواعد السلوك والاداب العامة وقوالب العرف والتقاليد ومعايير العمل والسلوك الاخلاقى والتكـوين النفسى وخاصة التكوين الفكرى والتوجيه القيمى والمعنوى .

الاخلاقية التي تكيّف مواقف الافراد بحيث تتلاءم مع مقتضيات أحوالهم الاجتماعية ومتطلبات مواقفهم وعلاقاتهم الانسانية .

ونذكر على سبيل الايضاح ان انتقال مجتمع ما من النظام الاقطاعي الى نظام لا أقطاعي يستلزم قيام أخلاقيات وقيم اجتماعية على أسس جديدة ، كما يتطلب وجود انماط ومعايير مغايرة للقيم الاخلاقية التي كانت سائدة في مرحلة الاقطاعية ، فاذا كانت القواعد التنظيمية قد اسقطت البناء الاقطاعي ، فلابد لها من أن تسقط أو تعدّل أو تطور الاخلاقيات الاقطاعية ، ومعنى ذلك أن النظام الاجتماعي الجديد (اللااقطاعي) لايستمد وجوده واستقراره من مجرد الاجراءات الاقتصادية والسياسية ، بل لابد وأن يصاحبها ويساوقها ويساندها نظام أخلاقي وتنسيق قيمي يقوم على فلسفة أجتماعية وعلى أسلوب ودليل وهدفية ايديولوجية مخططة .

ولا بأس من ان أشير في هذا المجال الى ماسبق أن ذكرته بصدد التجربة الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة حيث ذكرت أنه اذا كانت ثورتنا الاجتماعية تحاول أن تغير معالم المجتمع الاقطاعي ، وتزيل رواسب الاستعمار الفكري ، وتمحوا آثار الظلم والاضطهاد الاجتماعي ، فمن البديهي أن ذلك يتطلب تطويرا تربويا يستمد خطوطه الاساسية من تحليل وتخطيط وضعي لتطوير قيمنا الاجتماعية بما يتفق والتطلعات الفعلية لانتفاضتنا الاجتماعية ومن العبث احداث أي تطوير تربوي أو أخلاقي على أساس نظري تجريدى ، كما انه من الخطأ الادعاء بأنه في مقدور رجال التربية تبديل او تحويل العادات الخلقية أو تعديل العلاقات الانسانية ، بمجرد التدليل على عدم ملاءمتها من وجهة النظر العقلية فنحن نؤمن ايمانا جازما بضرورة رسم سياسة تخطيطية تربوية اجتماعية تتفق مع الاطار العام للايديولوجية العربية القائمة على تنمية الوجدان الجماعي وتطبيق مبادىء التكامل والتكافل الاجتماعي . وقد أقترحت ـ من الناحية النظرية ـ التفكير في انشاء فرع مستقل من فروع المعرفة الانسانية يمكن ان يطلق عليه ، علم الآداب الاجتماعية ، يعالج آداب السلوك العامة من الناحية الوضعية ، ويخطط التقاليد المهنية والحرفية والقيم التي لها وظيفة ايجابية في دفع عجلة التقدم لبلوغ

مجتمع أسعد متحرر من الاقطاع الثقافي والتضليل الايحائي[٩] .

كما أقترحت من الناحية التنظيمية الوظيفية ، انشاء جهاز فني في مستوى المجلس الاعلى للتخطيط القومي يتولى الرقابة الفعلية على أجهزة الثقافة الموجهة للرأي العام ، يكون له سلطة التدخل والتوجيه ، والتخطيط والترشيد والسيطرة على النشاطات التربوية والتعليمية والتثقيفية وذلك للعمل على تطوير القيم الاجتماعية[١٠] .

دعائم التخطيط الاخلاقى

أحب أن أقرر بادىء ذي بدىء أننا سنقتصر على العناصر الاساسية دون الخوض في تفصيلاتها ، وتتلخص أهم الاركان والدعائم التي يعتمد عليها الهيكل البنائي للتخطيط الاخلاقي على العناصر التالية :

١ - تخطيط الوضع القيمي "Value Position"

٢ - تنمية الروح المعنوية وتطوير القيم الاجتماعية والاخلاقية "Morale"

٣ - تحديد مستويات التنظيم والنسق القيمي "Value-Organization"

أولا :- نقصد بتخطيط الوضع القيمي ، الوقوف والتعرف على طبيعة القيم الاخلاقية المألوفة في المجتمع ، وتحليل وتصنيف هذه القيم بغية ابراز وتفهم الامور التالية :

أ - التعرف على طبيعة ووظيفة القيم القديمة ، وبيان ما اذا كانت التوجيهات القيمية التقليدية تؤثر على العلاقات الاجتماعية الجديدة ومدى هذا التأثير .

ب - استبار نسبة المؤيدين للقيم التقليدية ، ومبررات هذا التأييد .

ج - تحديد الاتجاه الذي تسير فيه فاعليات وتأثيرات القيم التقليدية واستبار

---

(٩) الدكتور احمد الخشاب : الضبط والتنظيم الاجتماعى . القاهرة عام ١٩٥٩ ص ٢٦٨ .

(١٠) الدكتور احمد الخشاب : الارشاد الاجتماعى - القاهرة عام ١٩٦٣ ص ٣٥ .

وقياس مدى فاعلياتها في جوانب العمل والسلوك ، والفئات الاجتماعية التي تتحصن فيهـــا .

د ـ معرفة نطاق ومجالات القيم الجديدة وجبهات التحامها مع القيم التقليدية، وأثر ذلك على التكامل والتضامن الاجتماعي ، وقياس درجة تقبلها من المستويات الجماهيرية ومدى مساهمتها في احداث التغيرات الجديدة .

هـ ـ تدقيق المفاهيم والمعايير والقيم المشتركة العامة "Common Values" التي لها وظائف ايجابية في تحديد طبيعة العلاقات الاجتماعيـــة ، وذلك لمحاولة الاستفادة منها في عملية التوجيه القيمي Value Orientation (١١) ، والتحسس على جبهات الالتقاء والاتفاق العام بالنسبة للقيم الجديدة .

و ـ محاولة التعرف على القيم المرتبطة بالتغير أو التطور الجديد واستشفاف نقط التصادم ومجالات التنازع بينها وبين القيم التقليدية أو القيم البالية او الراحلة او الواهنة .

ز ـ الوقوف على العقبات الجديدة التي تحكم المستويات القيمية المستحدثـة والتي ظهرت مع التطور الاجتماعي والتقدم التكنولوجي .

ح ـ قياس مدى امكان ترجمة وتحقيق جوهر القيم الاجتماعية والاخلاقية الجديدة في نسق ونظام العمل الاجتماعي ، ومن حقائق الحياة اليومية لجمـــوع المواطنين ، واستبار أمكانيات أدماج وصهر التقاليد والترسبات الثقافية والحضارية من ديناميات عمليات التنشئة الاجتماعية وتوجيه القيم الاخلاقية .

ويتحقق هذا اذا امكن التعرف على الامور التالية :ـ

١ ـ نوع العلاقات والارتباطات الاخلاقية بين أفراد الجماعة (التعاون . المشاركة الوجدانية) .

---

(١١) درس العلامة الامريكى تالكـوت بيرســونز "Talcott Parsons" هذه العناصر دراسة مستفيضة فى مؤلفه عن « النظام الاجتماعى » The Social System
ويراجع الجزء الخاص بنماذج وانماط التوجيـــه القيمي Value Orientation [ص ١٠١ ـ ١١٢] .

٢ ـ درجة استعداد الجماعة من فهم وتحمل المسئولية الخلقية .

٣ ـ مدى نفاذ التفاعل الجمعي .

٤ ـ الآداب الشعبية ذات الفعاليات القوية ودرجة تأثيرها ودرجة الاستفادة منها

٥ ـ درجة التحوّل عن المعتقدات الخاطئة والاوهام الباطلة .

٦ ـ مقدار الصد عن التعصبات الطائفية أو العشائرية او العنعنات العرقية .

٧ ـ مقدرة الجماعة على التعبير عن اهتماماتها المشتركة .

٨ ـ قدرة الجماعة على تعديل وتطوير النسق الاجتماعية والمعيارية .

٩ ـ نوع الاستجابة ازاء القيم التي تحملها وسائل الاتصال الجماهيري من صحافة ومجلات وكتب واذاعة وتلفزيون وصور متحركة ...

١٠ ـ قدرة الجماعة على اكتساب القيم Value-Acquisition

والمهم من دراسة وتخطيط الوضع القيمي هو العمل على الاستفادة من جوانب القوة التي تكمن وراء القيم ـ تقليدية كانت او مستحدثة ـ حتى يتحقق الاستغلال الامثل للقوى الاخلاقية باعتبارها قوى شعبية ديموقراطية لا تختص بها طبقة مهنية أو مستويات ثقافية معينة[١٢] ومن الخير أن نشير في هذا المقام الى ان القـــوى الاخلاقية تعمل بطاقة امكانياتها المعنوية والروحية من البيئة الاجتماعية المتجانسة التي تتميّز « بقرب المسافات الاجتماعية » التي تهيىء أسباب الألفة والتقارب بين فئات ومستويات الجماعات والتي من شأنها أن تقلل المتناقضات المعوّقة للانطلاق أو التطور سواء من واجهته المادية او المعنوية .

ثانيا ـ أما عن تنمية الروح المعنوية[١٣] وتطوير القيم الاخلاقية

أ ـ فنحن نرى انه من الاهمية بمكان أن نعمل على تنمية الروح المعنوية

---

(12) Cournot : Essais Sur les Fondements de nos Consciences Paris, P.U.F.,T.I.

L. Lorwin; Time for Planning. N.Y. 1945.

(١٣) تقابل الدلالة الابتومولوجية « للروح المعنوية » ما يعنيه العلماء بالمصطلح الفرنسي "Morale"

في اطار من التخطيط الاخلاقي ، ذلك لان الروح المعنوية هي الركيزة الاساسية التي تعتمد عليها درجة التضامن والتماسك البنائي والوظيفي الذي يمكن ان يتحقق في نطاق الجماعة ، ففي تصورنا أن « الروح المعنوية » ليست تعبيرا تجريديا ، بل في تقديرنا أن الروح المعنوية تعكس في مفهومها الاجتماعي حالة من التماسك المتواجد والمتحقق تحققا فعليا ، والذي يساعد الجماعة على بسط معاييرها التقويمية وتحقيق الاستمرارية لقيمها الاجتماعية والاخلاقية ، فاذا لم يجعل التخطيط الاخلاقي هدفية تنمية الروح المعنوية أحد أبعاده الاساسية ، تهدد البناء الاجتماعي بلون من ألوان الوهن او التحلل الخلقي Demoralization وفي هذه الحالة من التفسخ لا يتحقق التماسك القوى داخل الجماعة ، حيث تتحقق معايير وقيم الجماعة ـ لا عن استجابة تلقائية ـ ولكن عن ضوابط قاهرة • ان تقوية الروح المعنوية ـ بدالتها ـ من شأنه أن يكوّن عنصرا أساسيا من انجاح عمليات التخطيط الاخلاقي ـ وان كان لهذا الموقف الفكري كساء متيانيزيقي ـ فالروح المعنوية هي الرابطة الخلقية التي تقوي الاواصر التي تشد أخلاقية الفرد بأخلاقيات مكوّنات النسيج الاجتماعي وبغير هذه الرابطة او بضعفها ووهنها يتحوّل المجتمع الى مجموعة من الذرات المادية الفردية أو الكائنات المنحركة التي لا يقود سلوكها أي قصد موحد او مخطط •

وفي تقديرنا ان الروح المعنوية ـ من الناحية الوظيفية ـ تكمن وراء كل موقف تقدمي أو تعديلي للعمل والسلوك الاخلاقي ، بمعنى انها تفتح أمام « التطوير الاخلاقي المخطط » مجال التحقق وطريقة التأكد ، وتولد في الانسان النشاط الضروري للاستجابة التلقائية للانماط الاخلاقية المتطورة التي قد تعوزها المساندة في مراحل انبثاقها بصورة اولية ، ذلك لانها تقوّي الارادة العامة التي تعتبر ـ كمضمون ميتافيزيقي ـ الينبوع النهائي الذي ينبثق عن جميع ما في المجتمع من نظم وقيم ومثل أخلاقية وقواعد سلوكية •

ومن خلال ما تقدّم يمكننا القول أنه لكي نضمن تحقيق التماسك الاجتماعي وتدعيمه في ظل التطوير المخطط للقيم الاخلاقية ، فان ذلك يستلزم ولا شك تقوية الروح المعنوية •

أما فيما يتعلق بتطوير القيم الاجتماعية والاخلاقية ، فانه مما لا شك فيه أن ميكانزيه التطور ينتقل عادة من التطور التكنولوجي أو التطور الاقتصادي أو السياسي الى التطور الاجتماعي والاخلاقي أو الاصح أن نقول أن أشكال التطور النوعية تتفاعل تفاعلا وظيفيا تكامليا فيما بينها اذا كان التطور سويا ، وعلى أي الحالات فنحن لا نعتبر أن التطور قد بلغ غايته الا اذا انطوى على تطوير اخلاقي بشكل راديكالي •

واذا شئنا ان نأخذ من التجربة العربية شاهدا للتوضيح ، فانه قد يكون من المفيد أن نسترجع ما سبق أن قدمناه من خطوط عامة تخطيطية لتطوير قيمنا الاجتماعية والاخلاقية يمكن تلخيصها فيما يلي[١٤] :ـ

١ ـ استخلاص سلّم للقيم التطويرية التي تناسب طبيعية المرحلة الانتقالية من الوضعية الاقطاعية الى الوضعية الاشتراكية الديمقراطية التعاونية •

٢ ـ أن يرتكز سلم القيم أساسا على مبدأ « شرف العمل » بهدفية القضاء على النزعات الاتكالية ، التي كثيرا ما أدت الى ضياع فرص الانتاج الابداعي ، واسهمت في انتشار فكرة التعايش الطفيلي •

٣ ـ محاولة اقتلاع الامثال الدارجة المهبطة أو المبطئة أو المعوّقة لاستغلال القوى المبدعة الكامنة في امكانياتنا واستعدادتنا التحصيلية والتجريبية من موروثاتنا الثقافية ، من خلال رقابة تربوية موجهة ، ومواجهة تثقيفية وترشيدية ، وبالترويج لامثالنا الشعبية وحكمنا الادبية التي تشجع المساهمة الايجابية في القيام باعمال وجهود انشائية ، تتعدى في نطاقها الاهداف الذاتية والشخصية ، وتخرج المواطنين عن عزلتهم الاجتماعية ، وجنوحهم الى السلبية واللاانتمائية ، وتهربهم من تحمل المسئولية •

٤ ـ غرس منميّات الاتجاه نحو تفضيل الجهد الجماعي والنشاط التعاوني عن طريق « العمل المشترك » في جل المستويات التثقيفية التربوية والتوجيهية

---

(١٤) الدكتور احمد الخشاب : الضبط والتنظيم الاجتماعى ص ٢٦٣ ـ ٢٦٨ •
الدكتور احمد الخشاب : الارشاد الاجتماعى ٣١ ـ ٣٦ •

حتى يتغلغل هذا الاتجاه بصورة عملية تطبيقية في أعمالنا الانتاجية ، وانطباعاتنا الفنية ، وتصوراتنا وانجازاتنا الادبية وأحكامنا التقديرية .

٥ ـ استنبات وتنمية « الاخلاقيات والقيم الاجتماعية » التي من الحري ان تنبثق من طبيعة المفهوم التطويري لكياننا الاجتماعي ، وفي تصورنا أن في صدارة هذه الاخلاقيات ، المبادأة الابداعية الانشائية البناءة ، والتمركز حول المشخصات الذاتية للقومية العربية ومعاييرها الروحية ، والتقييم العلمي لاهمية التخطيط والتنظيم للبُعد الزمني والخلقي .

٦ ـ انماء الاحساس بالمسئولية الاجتماعية والمسئولية الاخلاقية ، بمعنى أن يرسخ في الفرد الاعتقاد بان هناك واجبا أساسيا يلتزم بمقتضاه كل مواطن أن يقوم بعمل ايجابي نافع لجماعته ، وأن قيامه بهذا العمل يكسبه شرف المواطن الصالح ، وأن عليه أن يخلص من أداء ما يوكل اليه من عمل ، وفي ذلك ارضاء لضميره الفردي ، وتحقيق لوعيه الجماعي واستجابة لشعوره القومي .

٧ ـ اشاعة الاخلاقيات الاشتراكية القائمة على تحقيق تكافؤ فرص العمل للمواطنين والعدالة الاجتماعية على الصورة التناسبية ، والكفاية الفنية في المجالات الانتاجية والديمقراطية الاجتماعية في نطاق الخدمات التعليمية والاسكانية والعمرانية[١٥] .

٨ ـ وضع دستور أو دليل سلوك للآداب المهنية[١٦] التي من شأنها أن تحقق « مناخ السلم الصناعي » على الصعيد العمالي ، على أساس التوحيد النوعي والنمطي من تكافؤ خطوط الانتفاع والاستفادة من السلع المنتجة . بين كافة مستويات المنتجين وكل مستويات المستهلكين ، وعلى افتراض تيقظ الضمير

---

(١٥) الدكتور احمد الخشاب : أخلاقيات الاشتراكية العربية ـ مقال بمجلة منبر الاسلام عام ١٩٦٣ .

(١٦) الدكتور احمد الخشاب : الاشتراكية العربية والاداب المهنية مقال بمجلة منبر الاسلام عام ١٩٦٣ .

المهني والاهتمام بالعنصر الانساني في المجتمع الصناعي ، مع الاخذ بالاسلوب العلمي والتوجيه المهني والترشيد في المجال الانتاجي .

٩ ـ تمكين المواطنين من أن يطوروا أنفسهم تطويرا سليما ليتكيفو مع الوضعية الجديدة ، ونحن نعتبر أن تثبيت القيم الاجتماعية القائمة على أخلاقيات اشتراكية تعاونية ، ضرورة اخلاقية .

١٠ ـ تنسيق عناصر ودرجات التوجيه القيمي[١٧] ، كوسيلة لادماج الاخلاقيات المتطورة في مواقف واستجابات وتصرفات الافراد ، بحيث يسير تلقين المعطيات الاخلاقية في خط واحد مهما تنوعت وتعددت أجهزة التنشئة والتربية والنوعية والارشاد ، وبحيث لا تتعارض القيم التي تحملها وسائل الاتصال الجماهيري . من صحافة ومجلات واذاعة وتليفزيون وصور متحركة وما الى ذلك من الاجهزة التي لها تأثيرها القوي على القيم الاخلاقية للمواطنين .

ثالثا ـ واذ بلغنا هذه المرحلة يجدر بنا أن ننتقل الى الركيزة الثالثة في التخطيط الاخلاقي ألا وهي رسم حدود وأبعاد النسق القيمي "Value. System"

ونعني بذلك تخطيط نسق او نظام متدرج للقيم Hierarchy of Values ينطوي على أهم المكونات القيمية الفرعية التي تكفل الانتظام المضطرد للوجه المعنوي من البناء الاجتماعي ، على أن يوضع في الاعتبار أن القيم لا تقوم في بساطة عشوائية، أو أنها تنشأ طليعة منعزلة أو في وحدات منفردة ، بل انها أشبه ما تكون بالعناصر المترابطة المتفاعلة فيما بينها والتي تنتظمها وشائج مستمرة الفعالية والصيرورة[١٨] . وآية ذلك أن نسق القيم يرتبط في كل مرحلة اجتماعية ارتباطا بنائيا ووظيفيا بالانساق الاخرى المصاحبة لها او المتفاعلة معها . وأهم ما يتميز به سلم القيم في

---

(١٧) التوجيه القيمى مفهوم واسع ينتظم كل مجموعة القيم الاخلاقية التى تتمسك بها الجماعة والتى تؤثر فى علاقات الافراد وتوجه سلوكهم تجاه انفسهم واتجاه الاخرين واتجاه المجتمع ككل .

(18) Talcott Parsons, The Social System pp. 57—67 101—112.

المجتمع هو التنوّع في المواقف ازاء القيم الاجتماعية والاخلاقية ، لذلك يجب ان يركّز الاهتمام على العناصر الاساسية والاصلية المكوّنة للنسق القيمي ولا سيما ما اتصل منها بالبيئة المحلية أو بالشخصية القومية(١٩) .

وفي الواقع نحن ننظر الى النسق القيمي من الناحية الوظيفية على أساس مدى ملاءمته للبنية الاجتماعية ، ونرى أنه يجب أن يعكس ويجسد الاتجاهات الرئيسية التي تنبثق عن طبيعة النظام الاجتماعي ومدى استعداده للتطور والنماء ، فالنسق القيمي هو الذي يكسب التنظيم الاجتماعي شكله واتجاهه ، فهو بمثابة العمود الفقري للنظام الاجتماعي والمضمون الحضاري ، ويتجلى ذلك من المحتوى الوظيفي للقيم الاجتماعية والاخلاقية المسيطرة وتلك التي تنبثق عن التطور أو تدفع الى التغير الاجتماعي . وغنى عن البيان أن القيم هي التي تحدد قواعد السلوك العام وهي التي توجه الفعل الاجتماعي والتصرف الفردي ، ذلك لانها تعطي نمطا تنبؤيا . وهي – بهذا المفهوم الوظيفي – تعتبر من الابعاد الاجتماعية الاساسية للبنيان الاجتماعي ، باعتبار أنها تتخلل كل النشاطات والفعاليات ، فضلا عن انها تشكّل المعايير التي تصاغ في ضوئها الاحكام التقويمية والاخلاقية ، فهي تضع حدا فاصلا بين ما يعده المجتمع سلوكا مثاليا او مقبولا ، وبين ما يعتبره المجتمع أمرا مرغوبا عنه أو ممنوعا عليه . كما انه لا شك أن للقيم وظيفتها في توحيد المواقف والاستجابات ، ومعنى ذلك أن النسق القيمي من شأنه أن يعمل على تحقيق التضامن الوظيفي والتماسك البنائي والتساند الطبقي والتوحد السلوكي ، ولذلك يجدر أن يكون هذا النسق في تناسق مع التطور الذي يعتور الجانب المادي والجانب المعنوي في النسيج الاجتماعي . وفي حالات التغيير الارادي المخطط لابد وان يوضع مخطط للتوجيه القيمي ، يسارقه مخطط للنسق القيمي الذي يلائم طبيعة التحول الذي حدث أو التطور المرغوب فيه او المتطلّع اليه .

---

(١٩) يتوقف نسق القيم على النمط والجوهر الحضارى والثقافى ، فمثلا نجد أن قيمة « الشرف والعرض » تمثل بعدا هاما من ابعاد نسقنا القيمى في المجتمع العربى ، بينما هذه القيمة لا تمثل هذه المكانة من النسق القيمى لكثير من المجتمعات الاوربية .

دور الدراسات الاجتماعية فى التخطيط الاخلاقى

يبدو ان التوضيح العملي والتطبيقي للتوجيه القيمي ، ورسم أبعاد السلم والنسق التخطيطي الاخلاقى لا يتأتى الا على هدى وعينا بالدور الذي يمكن ان تؤديه الدراسات الاجتماعية في هذا الحقل الحيوي • واذا كان لنا ان نتخذ من واقعنا العربي منطلقا فانه لابد أن نضع في الاعتبار ان مجتمعنا قد سادت فيه قيم أجتماعية واخلاقية لا تكاد تتفق مع طبيعة الوضع المتطور ، وان التطوير يجب ان يرتكز على تفهم علمي لطبيعة مرحلة التحول الاجتماعي ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا عن طريق مزيد من الدراسات والتحليل لعناصر وركائز « الوضع القيمي » ، ولذلك يتعين على المشتغلين بالدراسات الاجتماعية والبحث الاجتماعي الميداني ، القيام بمجموعة دراسات تخدم العمل الاجتماعي في هذا المجال ، ونذكر على سبيل المثال الدراسات التالية :

١ ـ دراسة الطبيعة النوعية للعلاقات الانسانية والاجتماعية ، دراسة تتبعية شاملة بحيث يمكن ابراز الفوارق الجوهرية بين قيم مجتمع ما قبل التطور « والمجتمع المتطور النامي » على ان تستغرق هذه الدراسة التحليلية التتبعية المقارنة، التفهم الشامل للعناصر التالية :

أ ـ فعاليات وقوة نفاذ القيم والاخلاقيات التقليدية[٢٠] التي كانت تسيطر على العلاقات الاجتماعية في مجتمع « ما قبل الانتفاضة المعاصرة » ، ويستلزم هذا ما يمكن أن يسمى « بالمسح الاخلاقي » "Ethical Survey"

ب ـ درجة التحول عن القيم الاخلاقية التي لم تعد ملائمة لطبيعة المرحلة الانتقالية التطورية مثل الاتكالية والتواكلية والسلبية واللاانتمائية والطائفية والشعوبية ويقتضى هذا دراسات سوسيومترية واستبارات قياسية ولوحات تخطيطية[٢١]

---

(٢٠) قد يستخدم القياس الاجتماعى "Sociometry" فى تحديد مدى سيطرة هذه القيم والاخلاقيات على العلاقات الانسانية والاجتماعية •

راجع فى هذا الصدد مجلة القياس الاجتماعى التى تصدرها الجمعية الامريكية للعلوم الاجتماعية •

(21) Am. Sociological Society, Sociometric Revue. N.Y. 1938.

وبيانيـــــة

"Sociometric Tests" and Sociograms"

في شرائح ومستويات البناء الاجتماعي ، وذلك بطريق العينة "Sample"

ج ـ الدالات الوظيفية لكل قيمة من القيم الاخلاقية السائدة ، وخاصـــة القيم المرتبطة بالتغير مع استبار الصراع المحتوم بين القيم الآفلة والقيم الناشئة وتتطلب هذه الدراسة فرعا خاصا من دراسة ديناميات الجماعة .

Social and Group Dynamics

د ـ مظاهر ونوعية وأجهزة الانضباط أو الضبط الاجتماعي Social Control للوقوف على عادات وتقاليد الخضوع للسلطة والامتثال للقيم الاخلاقية والتعرف على أثر الجماعات الضاغطة Pressure Groups على مواقف واستجابات وسلوك الافراد ومدى ادراك واستعداد الافراد والجماعات للمسئولية الاجتماعية او الجماعية المشتركة ..

(٢) دراسات تتعلق بظاهرة التحضر Urbanization(22)

ويهمنا في مجال التخطيط الاخلاقي مجموعة من الدراسات الفرعية تتناول الامور التالية :

أ ـ الصراع بين القيم البدوية والقيم الريفية والقيم الحضرية ، على أساس أن هناك حركات تهجير وتوطين للقبائل أو العشائر وهجرات غير مخططة من القرى والريف الى المدن وهدف هذه الدراسة هو محاولة التعرف على الوسائل التي يتحقق بها نوع من التجانس في القيم مستخدمة في ذلك المناهج والطرق العملية المتبعة في علم الانثروبولوجيا الاجتماعية والحضارية او الثقافية

Social and Cultural Anthropology

ب ـ مراحـل عمليـــة التكييف الاجتمـاعي Social Accomodation للمناخ الحضري بما تنطوي عليه من عمليات جزئية تتعلق بتمثل القيم الحضرية "Acculturation" والانصهار او الاندماج في مقومات الهيكل القيمي للبناء الاجتماعي في مجتمع المدينة ، حتى يتحقق التجانس القيمي الى أبعد مدى ممكن .

---

(22) Bardot, Gaston, Le Nouvel Urbanisme, Paris, 1948.
Chauchard, Paul, Physiologie des Moeurs Paris, 1954.

(٣) دراسات للبيئات الصناعية

والهدف من هذه الدراسات التعرف الى البناء الاخلاقي في المجتمع الصناعي وفي مقدمة ما تعنى بابرازه هذه الدراسات :

أ ـ الآداب والاخلاقيات المهنية •

ب ـ العلاقات الانسانية في المجالات الانتاجية •

ج ـ الآثار الاجتماعية والاخلاقية لظاهرة « التغريب » Peregrination

د ـ لآثار الاجتماعية والاخلاقية للترشيد الصناعي او الافادة من الاسلوب العلمي في العمل الانتاجي Rationalization

هـ ـ الآثار الاجتماعية والاخلاقية للتشريعات العمالية وتضم التأمينات والتعويضات •

وهذه الدراسات وما اليها تعتمد على ما قدمه العلماء في ميادين علوم : الاجتماع الصناعي ، علم ادارة المشروعات الصناعية ، العلاقات الصناعية والهندسة البشرية •

(٤) دراسات تطبيقية حول جنوح الاحداث والجريمة(٢٣)

الغرض من هذه الدراسات الميدانية الوقوف على النتائج الموضوعية التي يمكن أستخلاصها من احصائيات الجرائم وتحليل الخصائص والظروف الاجتماعية للمجرمين ، والعوامل البيئية والاجتماعية التي أعتبارها اكثر الاسباب احتمالا في الدفع الى الجنوح او الى الجريمة ، مع بذل مزيد من التركيز على « مناطق الاجرام » ونوعية الجرائم •

---

(٢٣) نحن نعالج الجريمة هنا باعتبار انها عمل « لا أخلاقى » من وجهة النظر الاجتماعية ومن الواضح أن جنوح الاحداث ـ من الناحية الاصطلاحية ـ يختلف عن « الجريمة » ، ولكننا آثرنا هنا الجمع بين المفهومين لان طبيعة البحث لا تسمح بالتفصيل ولان الهدف من معالجة هذا الموضوع هو الاشارة الى علاقة الظاهرات غير السوية « بالتخطيط الاخلاقى » • ونحن نشير بالرجوع الى كتاب الاستاذ عبدالجبار عريم المعنون نظريات علم الاجرام ـ الطبعة الثانية ـ بغداد ١٩٦٣ •

على ان هذا الغرض ليس هدفا في ذاته ، وانما القصد منه هو محاولة الوصول الى معالجة « المجرمين والمنحرفين » على أسس أجتماعية وخلقية ، وأهم من هـذا تدارس الوسائل الوقائية من الاجرام بطريقة منهجية مخططة ، واقتراح أبعـاد السياسة الجنائية ويهمنا بوجه خاص الدور الايجابي الـدي يمكن أن يقوم به « التخطيط الاخلاقي » في المجالات والميادين الآتية :

أ ـ تطوير القيم التي لها صلة ايجابية بارتكاب الجريمة ذلك لاننا نرى أن السلوك الاجرامي يعتبر في كثير من الحالات تجسيدا لبعض القيم الاجتماعية التي تأثر بها الفرد في تكوينه فقد يرى الفرد في « القتل » ـ في مواقف معينة ـ مظهرا من مظاهر الرجولة أو الكرامة ، اذا ما كان الدافع اليه حفظ الشرف او العرض ، انبثاقا من الواقع الاجتماعي والقيمي للجماعة التي ينتمي اليها •

ب ـ اعتبار ان « التخطيط الوقائى من الاجرام » من أهم عناصر التخطيط الاخلاقي فنحن نعتقد أن « سوء التنظيم الاجتماعي » ، وعـدم ترسخ القيـم الاخلاقيـة "Immorality" وعدم التفهم الصحيح للقواعد الدينيـة[٢٤] من الاعتبارات التي لها صلة كبيرة بالجنوح والجريمة •

ج ـ أن نتخذ الاسلوب التخطيطي كأداة في وضع « السياسة الجنائيـة » لعلاج المجرمين مع الاستنارة بآراء ونظريات الاجتماعيين في تقليص نسبةالاجرام• ولا بأس أن نشير الى آراء العلامة الايطالي « فيرى » Ferri ، التي تنطوى عـلى كثير من العناصر ذات الطبيعة الاخلاقية ، فهو يرى بحق أن العـلاج الوقائي "Preventive Treatments" من تزايد اجرائم يكمن في العمل على تزويد الحياة الاجتماعية بمقومات أخلاقية حتى تتجه فعاليات الافراد بطريقة غير مباشـرة في مسالك سوية غير اجرامية • وهو يرى ان اطلاق الحريات ، وتحسين الاحوال الاقتصاديه ورفع مستوى الخدمات الاجتماعية وما الى ذلك كفيل باقامة دعائم الدفاع

---

(٢٤) نحن لا نريد ان نؤكد في هذا المجال أن ضعف التمسك بالدين هو السبب الرئيسى فى الاجرام ، ولكن كل ما نريد تقرين بهذا الصور أن العنصر الدينى يمكن ان يكون عاملا اساسيا فى منع ارتكاب الجرائم •

الاجتماعي ضد السلوك الاجرامي • وحبذا لو تم هذا على أساس احصائي وعلمي وتحليلي وتخطيطي[٢٥] •

وسار على نفس الخط الاجتماعي الاخلاقي العلامة هندرسون[٢٦] في اقتراحاته للاجراءات الوقائية التي يجب أن تنطوى عليها السياسة الجنائية ، فقد قدم مخططا وقائيا ينطوى على مجموعة من البرامج الاصلاحية والتشريعات والنظم التربوية التي تنطوى على تحقيق أهداف خلقية (منع الدعارة وشرب الخمر وتعاطي المخدرات وسوء استغلال تشغيل الاولاد الصغار في الصناعة) الى غير ذلك بما قد يطول سرده وتفصيله[٢٧] •

(٥) دراسة الآداب والاعراف الاجتماعية Folkways, Mores, Morals

والاصل في هذه الدراسة أن تكون وصفية تحليلية على أساس النظرة التكاملية الوظيفية البنائية ، وذلك من أجل الوصول الى هدف هام ألا وهو محاولة اختزال فعاليات ومظاهر ترسبات الآداب والقيم التي لم تعد توافق طبيعة المرحلة الانتقالية التطورية التي يجتازها مجتمعنا العربي في الآونة الراهنة ، وخاصة تلك الترسبات التي فقدت وظيفتها الاجتماعية بعد أن تغيرت البنية التي انبثقت عنها أو صاحبتها • ويكفى الاشارة في هذا المجال الى بعض التيارات والاتجاهات الفكرية والسلوكية التي ينبغي أعادة تقييمها على هدى التجربة الاجتماعية والمواجهة الحيادية المطلقة ، ومنها :

أ ـ المواقف السلوبية : اللاأنتمائية • اللامبالاة • الاتكالية • التواكلية ـ السلبية • العشوائية •

ب ـ النظرة السلفية : مع ما ينطوى عليه مضمونها من نظرة وروح تشاؤمية من الوضعية الاجتماعية المعاصرة •

---

(25) Ferri, Criminal Sociology, 1896. Tr. Paris, 1890.
عبدالجبار عريم : نظريات فى علم الاجرام • الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ٨١ـ٨٦ •

(26) Abdul Jabbar Araim, Crime Prevention, Baghdad, 1963 "Ferris" Plan of Prevention, pp 39—46.

(27) Op. Cit., (Ibid), Henderson's Proposal for Crime Prevention, pp. 46.

ج ـ التهويل والمبالغة والترحيب بالشائعات •

د ـ المسحة الطقوسية للأنشطة والمواقف العلمانية الاجتماعية •

هـ ـ ضعف الوعي التخطيطي وعدم تقدير وتقييم البعد الزمني •

(٦) دراسات متعلقة بالسياسة الاجتماعية

ولهذه الدراسات قيمتها بالنسبة للتخطيط الاجتمـــاعي والأخلاقي ، اذ انه بفضلها يمكن ضمان تحقيق الاهداف العملية التالية وهي أهداف من طبيعة خلقية :

أ ـ استمرارية ودينامية التطلعات في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية على أساس أن تطوير الآداب العامة وتقوية الروح المعنوية من شأنه أن يدفع الى التطلع الى المستويات الاكثر انتعاشا والافضل وضعية في أحكامها ومعاييرها التقييمية •

ب ـ امكانية اخضاع هدفيات السياسة الاجتماعية لمتطلبات تطوير القيـــم الاجتماعية والاخلاقية والارتفاع بها الى المستوى الذي يجعلها طليقة متحررة من النزعات الطائفية والشعوبية والطبقية •

ج ـ التحكم في أبعاد النظام القيمي ، بحيث يكون مبدأ التدريج متمشيا مع مقتضيات التطوير الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي •

(٦) دراسات متصلة بالارشاد الاجتماعي

وفي تصورنا أن هذه الدراسات يمكنها أن تحدد معالم الطريق الى الاجراءات التطبيقية التي يجب ان تسلكها أجهزة الاعـــلام والترشيد والارشاد والتربيـــة الاجتماعية والقومية لبلوغ الاهداف التالية :

أ ـ تأكيد فعالية القيم الاخلاقية ، والتصدي للايحاءات التضليلية التي حاولت أن ترسب في الاذهان أن تخلفنا الحضاري نتيجة طبيعية لجمود موروثاتنا الروحية والمعنوية والخلقية •

ب ـ اعادة تقييم استمداداتنا الحضارية والثقافية والعمل على تصفيتهـــا من الانحرافات النظرية والعملية •

ج – رسم النماذج السلوكية العامة التي تتقيد بالسير وفقها منظمات واجهزة التربية والتنشئة الاجتماعية .

د – طبع المجتمع بالنظرة الموضوعيـــة ، وتأكيد الترابط العضـــوي بـين الديموقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية .

وبعد فهذه عينات هدفية ، تحتاج الى مناقشات ودراسات تفصيلية قد لايسمح المجال بالخوض فيها ، ولكنها تنتهي بنا على الطريق الى « تخطيط أخلاقي » ، فنحن نؤمن أنه في اطار من التوعية النظرية والعملية ، وايمان بالحتمية الهدفية ، يمكن أن تزدهر الآراء والافكار ، وتنمو الاستعدادات وتنطلق الطاقات وتستغل الامكانيات وتكفل الحقوق والحريات وتخطط النشاطات والالتزامات والواجبات والاخلاقيات.

والله ولي التوفيق ؟

احمد الخشاب
قسم الاجتماع بكلية الآداب